رحلة الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة المكرمة إلى العراق – دراسة تاريخية جغرافية

أ.د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

The Journey of Al-Imam Al-Hussain (peace be upon him) From Mecca to Iraq Historical Geographical Study

Centre of Arabic Scientific Heritage Revival/ Baghdad University

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

Abstract

The rout that Al-Imam Al-Hussian took in his journey to Iraq is the same rout to Iraq known even before Islam which is called Al- Heerah – Mecca rout. Some sources mention this rout as the rout that the Islamic Arabic army took during the Orthodox Caliphs' reign throughout liberation wars. It is called Al-Kuffa- Mecca rout after the establishment of Al-Kuffa. During the Umayyad period, Al-Imam Al-Hussain (peace be upon him) took this rout when he left Mecca to Iraq. During the Abbasid period, this rout was the rout of pilgrims to Mecca.

المقدمة:

في شهر رجب سنة 60هـ/ 679م مات معاوية بن أبي سفيان وبويع بعده ابنه يزيد بن معاوية، وتسارعت الأحداث التاريخية التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يغادر المدينة المنورة إلى مكة المشرفة، ومن ثم قرر الرحيل إلى العراق.

إن الطريق الذي سلكه الإمام في رحلته إلى العراق، لم يكن طريقاً جديداً، فهو ذاته الطريق الذي وردت الإشارة إليه قبل الإسلام، المعروف بطريق الحيرة مكة. وفي الحقبة الإسلامية أشارت إليه المصادر في العصر الراشدي، فقد مر به الجيش العربي الإسلامي أثناء حروب التحرير والفتح، وبعد تأسيس مدينة الكوفة عرف باسم طريق الكوفة – مكة المكرمة. وفي العصر الأموي سار فيه الإمام الحسين (عليه السلام) عندما غادر مكة المكرمة قاصدا العراق، وفي العصر العباسي كانت الحقبة الذهبية لذلك الطريق، وهو طريق الحج البري أحد أهم طرق المواصلات القديمة.

إن الذي أضافه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الطريق هو القدسية، واقترانه بحدث مهم في التاريخ الإسلامي هو موقعة الطف، واستشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام).

وسيتناول البحث المحاور الآتية:

أولاً: رحلة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانيا: طريق الكوفة – مكة المكرمة.

أولاً: رحلة الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق

شهد موسم الحج في تلك السنة 60هـ/ 679م، خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة، فقد غادر مكة يوم التروية الثامن من ذي الحجة، وفي هذا اليوم التقى به عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، في محاولة لإقناعه بالعدول عن الخروج إلى الكوفة، كما التقى به عليه السلام عبد الله بن الزبير وخاطبه: "إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فآزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك. فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش، فقال له أبن الزبير فأقم أن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما أريد هذا أيضاً...."[1].

1 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ). تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت، 5/ 384- 385.

واستمرا في الحديث حتى علت أصوات دعاء الحجاج المتجهين إلى منى، عندها ودع الإمام الحسين عليه السلام مكة بالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، وقص من شعره، وتحلل من عمرته، وغادرها إلى الكوفة، وعندما سئل عليه السلام "ما أعجلك عن الحج؟ قال لو لم أعجل لأخذت..."[1]. ولم تمض مدة طويلة على خروجه حتى جاء الخبر باستشهاده عليه السلام في العاشر من محرم 61هـ/ 680م في موقعة الطف.

كانت رحلة الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة المكرمة الى الكوفة، ومن خلال الروايات التاريخية وردت أسماء لبعض الأماكن[2]، منها:

التنعيم[3]: وفيها لقي الإمام (عليه السلام) عيرا من اليمن بعثت الى يزيد بن معاوية، " فأخذها الحسين، فانطلق بها، ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا الى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض " [4].

الصفاح[5]: وفيها لقي الإمام الحسين (عليه السلام) الشاعر الفرزدق، وفي ذلك المكان " واقف حسينا فقال له " أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك، فقال الفرزدق: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال له الحسين: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وأن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته "، ثم حرك الحسين راحلته فقال: "السلام عليك، فافترقا"[6].

الحاجر من بطن الرمة[7]: وفي هذا المكان بعث الإمام (عليه السلام) برسالة الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي، ولما وصل الى القادسية أسره الحصين بن تميم، وحمله الى عبيد الله بن زياد، الذي طلب أن يصعد الى القصر ويسب الإمام، ولما صعد أثنى على الإمام (عليه السلام) ولعن ابن زياد الذي أمر برميه من فوق القصر[8].

ماء زرود[9]: وهو من المناطق التي شرفها الإمام (عليه السلام) في طريقه قاصدا الكوفة " انتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن المطيع العدوى" الذي حاول أن يقنع الحسين بالرجوع عن الكوفة ودار بينهم حوار منه: "... فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحد أبدا. والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضى، قال: فأقبل الحسين حتى كان بالماء فوق زرود"[10].

الثعلبية[11]: وفيها جاء عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديين الى الإمام (عليه السلام) وأخبراه باستشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ولما سمع الإمام (عليه السلام) قولهما قال: " إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما، فردد ذلك مرارا"[12]، وفيها أمر الإمام (عليه السلام) فتيانه وغلمانه بالإكثار من الماء فاستسقوا وأكثروا[13].

---

1 المصدر نفسه، 5/ 386.
2 لقد اعتمدنا في تسلسل الاماكن في البحث على سبق ورودها في الروايات التاريخية عند الطبري في تاريخه، اما محطات الطريق وفق ترتيبها الجغرافي فقد رتبت في جدول: ينظر ملحق رقم (1) (2).
3 التنعيم موضع بمكة في الحل وهو بين مكة وسرف. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955، 2 / 49.
4 الطبري، تاريخ، 5/ 386
5 الصفاح موضع بين حُنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 412
6 الطبري، تاريخ، 5/ 387
7 الحاجر: هو موضع قبل معدن النقرة دون فيد حاجر، بطن الرمة: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة بها يجتمع أهل الكوفة والبصرة ومنه إلى العسيلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/204، 3/ 72.
8 الطبري، تاريخ، 5/394.
9 زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 139.
10 الطبري، تاريخ، 5/ 396.
11 الثعلبية من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وأسفل منها ماء يقال له الضويجعة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 78- 79.
12 الطبري، تاريخ، 5/ 397.
13 المصدر نفسه، 397-398.

زبالة [1]: وفيها جاء الى الإمام (عليه السلام) خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر، الذي أرسله الإمام (عليه السلام) الى مسلم بن عقيل قبل أن يعلم بموته، فلقيه الحصين بن تميم بالقادسية وبعث به الى عبيد الله بن زياد، الذي طلب منه الصعود الى القصر ولعن الإمام، إلا أنه صعد فأثنى على الإمام ولعن ابن زياد الذي أمر برميه من أعلى القصر[2].

وفي هذا الموقع توجه الإمام (عليه السلام) إلى من معه من الناس بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فأنه قد أتانا خبر فظيع،... فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منا ذم"[3].

بطن العقبة[4]: وهي من الأماكن التي نزلها الإمام (عليه السلام) [5].

واقصة[6]: "إن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحد يخرج..."[7].

وكان الإمام (عليه السلام) يسير ولا يعرف شيئاً عن الإجراءات التي اتخذها عبيد الله بن زياد استعدادا لمنع الإمام (عليه السلام) من دخول الكوفة، وعندما لقي الأعراب سألهم "فقالوا: لا والله ما ندري، غير إنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج"، هنا قدر الإمام (عليه السلام) الأوضاع، فكان قراره أن " سير نحو طريق الشام"[8].

شراف[9]: وفيها أمر الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) غلمانه فاستقوا من الماء وأكثروا[10].

ذو حسم[11]: وهو المكان الذي لجأ إليه الإمام (عليه السلام) عندما رأوا الخيل تتجه نحوهم، فقال الإمام الحسين (عليه السلام) "أما لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك"، فعدلوا عن الطريق الأساس الى ذلك الموضع[12]، وفيه وصلت خيل الحر بن يزيد الذي كان مسيره إلى الحسين من القادسية[13]، وفيها كانت للحسين (عليه السلام) خطبة، قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: " يها الناس، إنها معذرة إلى الله عز وجل واليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم: أن أقدم علينا، فأنه ليس لنا أمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم، فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن: أقم الصلاة[14].

ثم صلى الحر بصلاة الإمام (عليه السلام)، وفي هذا الموضع قال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: "قوموا فاركبوا...، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف"، وبعد مشادة كلامية بين الإمام (عليه السلام) والحر، قال الحر: إني لم أمر بقتلك ولكن أمرت بعدم مفارقتك، حتى أقدمك الى الكوفة " فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة، ولا تردك إلى المدينة "[15].

---

1 زبالة منزل في طريق مكة – الكوفة بين واقصة والثعلبية، وهي بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 129.
2 الطبري، تاريخ، 5/ 398.
3 المصدر نفسه، 5/ 398-399.
4 العقبة منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/.134.
5 الطبري، تاريخ، 5/ 399.
6 واقصة منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة ودون زبالة بمرحلتين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 354.
7 الطبري، تاريخ، 5/ 392:
8 المصدر نفسه، 5/ 392.
9 شراف: بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء ون شراف الى واقصة ميلان وهناك بركة تعرف باللوزة وفيها ثلاث آبار كبار رشؤها أقل من عشرين قامة وماؤها عذب كثير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 331.
10 الطبري، تاريخ، 5/ 400.
11 ذو حسم وردت بشعر النابغة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 258.
12 الطبري، تاريخ، 5/ 400.
13 المصدر نفسه، 5/ 401.
14 المصدر نفسه، 5/ 403.
15 المصدر نفسه،5/ 403.

البيضة[1]: بعد ذلك اللقاء كان مسير الإمام (عليه السلام) " فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلا. ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره..."، ثم " أن الحسين (عليه السلام) خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة " فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله..."[2].

عذيب الهجانات[3]: وفي هذا الموضع جاء الى الإمام (عليه السلام) أربعة أشخاص من الكوفة، وطلب إليهم الإمام أن يعطوه صورة حال أهل الكوفة، فضلا عن مصير رسله. فكان جوابهم فيه الصراحة والدقة والصدق، جاء فيه " أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم،... فهم ألبٌ واحد عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك..."[4].

القادسية[5]: وقبل أن يبلغها بثلاثة أميال لقيه الحر بن يزيد التميمي"فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: أرجع فأني لم أدع لك خلفي خيرا أرجوه" [6]، وكان قرار الإمام (عليه السلام) العودة، إلا أن أخوة مسلم بن عقيل رفضوا العودة " فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم"[7].

ولما بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن تميم صاحب شرطته، حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة وإلى لعلع..."[8].

وذكرت الرواية اتفاق الجميع على الاستمرار في تلك الرحلة، وأقبلت خيل عبيد الله بن زياد، فغير الإمام (عليه السلام) طريقه، إذ " عدل إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخلا كيلا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته "[9].

قصر بني مقاتل[10]: وكان فيه فسطاط عبيد الله بن الحر الجعفي، الذي خرج من الكوفة، حتى لا يكون حاضرا عن دخول الإمام (عليه السلام) إليها، لذلك رفض الحضور إلى الإمام (عليه السلام) عندما دعاه، فجاء إليه الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه "ودعاه الى الخروج معه"، ولما لم يجد إجابة منه فقال: " فإلا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، قال: أما هذا فلا يكون أبدا إن شاء الله..."[11]، وفيه أمر الإمام بالاستسقاء من الماء [12]، ثم جاء أمر الإمام بالرحيل عن قصر بني مقاتل "فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم فيرده، فجعل إذا ردهم إلى الكوفة رداً شديدا امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا الى نينوى"[13].

نينوى[14]: وفيه نزل الإمام (عليه السلام) وهو المكان الذي جاء فيه كتاب عبيد الله بن زياد الى الحر بن يزيد، وفيه " أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير

1 البيضة: ما بين واقصة إلى العذيب. ينظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739 هـ). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1954، 1/ 245.
2 في رواية أخرى خطبة الإمام في هذا المكان بالمعنى نفسه، ولكن بلفظ مختلف. ينظر: الطبري، تاريخ، 5/ 403.
3 عذيب الهجانات: هو منزل من منازل طريق الحج ؛ هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، 4/ 92
4الطبري، تاريخ، 5/404-405.
5 القادسية بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب أربعة أميال. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 291.
6 الطبري، تاريخ، 5/ 389.
7 وفي رواية أن ذلك كان في الثعلبية ينظر: - الطبري، تاريخ، 5/ 389، 397.
8 المصدر نفسه، 5/ 394.
9 المصدر نفسه، 5/ 389.
10 قصر المقاتل كان بين عين التمر والشام.ينظر: ياقوت، معجم البلدان 4/ 364.
11 الطبري، تاريخ، 5/ 407.
12 المصدر نفسه، 5/ 407.
13 المصدر نفسه، 5/ 408.
14 نينوى: هي ناحية بسواد الكوفة منها الى كربلاء. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، 5/ 339.

ماء..."[1]. وكان على مقربة من ذلك المكان قرى أراد الإمام الحسين (عليه السلام) أن ينزل بأحدها، ومنها: الغاضرية، شفية، العقر، إلا أن الحر رفض. وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم، ثم وصل جيش عمر بن سعد في أربعة آلاف ونزل في نينوى[2].

وتسارعت الأحداث التي انتهت بموقعة الطف واستشهاد الإمام (عليه السلام) ومن معه، وقام أهل قرية الغاضرية من بني أسد بدفن الإمام (عليه السلام) وأصحابه[3].

ويبدو من الرواية التاريخية إنها أشارت الى بعض الأماكن دون أخرى، وربما يكون السبب إنها تهتم فقط بالمنطقة التي جرى بها الحدث أثناء رحلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فهي أرّخت للرحلة وليس للمكان. ومن هنا جاء إغفال ذكر بعض المحطات والمنازل على طريق الكوفة – مكة المكرمة.

وبالاعتماد على المصادر الجغرافية يكون طريق الإمام الحسين (عليه السلام) قد مر بالمحطات الآتية: الحاجر، زرود، الثعلبية، زبالة، العقبة، واقصة، شراف، ذي حسم، البيضة، العذيب (عذيب الهجانات)، القادسية، قصر بني مقاتل، ونينوى.

ثانياً: طريق الكوفة – مكة المكرمة

للتعرف على وصف ذلك الطريق لابد من الرجوع الى المصادر الجغرافية، مع الأخذ بنظر الاعتبار الحقبة الزمنية لتلك المصادر.

لمحة تاريخية:

من الطرق المهمة التي ربطت العراق بالحجاز، وهو طريق الحج البري القديم، وهو الطريق الذي كان قبل الإسلام والمعروف باسم طريق الحيرة – مكة، ومن خلاله كانت التجارة بين مكة المكرمة والعراق[4].

وبعد أن نشأت مدينة الكوفة أستمر الطريق يربط العراق بالديار المقدسة، وعرف باسم طريق الكوفة – مكة المكرمة والمدينة المنورة، واستخدم بعد فتح العراق وانتشار الإسلام في المشرق، وأخذ في الازدهار منذ عصر الخلافة الراشدة [5]. وفي العصر الأموي استمر الطريق يسلكه الحجاج والمسافرين، وهو ذات الطريق الذي سار فيه الإمام الحسين (عليه السلام) عندما غادر مكة المكرمة قاصدا العراق[6]. وفي العصر العباسي أصبح الطريق حلقة الوصل الأكثر أهمية بين بغداد ومكة وصولاً إلى الحرمين الشريفين، وأطلق عليه درب زبيدة. ومن هنا كان الاهتمام بهذا الطريق وتزويده بالخدمات المتعددة، كبناء أحواض المياه، وحفر الآبار، وإنشاء البرك، وإقامة المنارات التي ترشد المسافرين.

ومما يجدر ذكره أن طريق الحج البري القديم بلغ عصره الذهبي في العصر العباسي الأول، أما في العصر العباسي الثاني فقد تم تهديد الأمن على ذلك الطريق لتعرض الحجاج إلى الاعتداءات. ففي أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع تعرضت بعض محطات الطريق لهجمات القرامطة، ونجم عن ذلك أن أصاب الإهمال منازل الطريق وتوقف الحجاج عن استخدامه، إلا في حالات توفير الحماية لهم[7].

وبعد سقوط بغداد على أيدي المغول عام 656هـ / 1258م تعطل الطريق واندثرت معظم محطاته وأصبحت مجرد أطلال، وتعطل الحج من العراق لمدة عشرة سنوات[8].

1 الطبري، تاريخ، 5/ 408.
2 المصدر نفسه، 409/5.
3 المصدر نفسه، 5/ 455.
4 عارف عبد الغني، تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام، دار كنان، دمشق، 1993، ص 269 ؛ سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، 1981، ص17.
5 المرجع نفسه، ص 18.
6 الطبري، تاريخ، 5/ 288.
7 ينظر: حول أثر القرامطة على الحجاج وعلى طريق الحج البري: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630 هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، 313/8.
8 المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ)، الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك، مصر، 1955، ص 62، 81، 84.

محطات الطريق:

اشتهر ذلك الطريق بأنه طريق الحج الذي يسلكه حجاج العراق والمشرق الإسلامي، يبدأ الطريق من مدينة الكوفة – مكة المكرمة والمسافة بينهما 1300 كم تقريبا، وحدد سيد عبد المجيد المنطقة على خطوط الطول والعرض من الكوفة قرب دائرة عرض5 –32 شمالا، وخط طول 25–44 شرقا. ومكة قرب دائرة عرض 27–21شمالاً، وخط طول 49 – 39 شرقا. وذلك يعني أن الطريق يمر عبر منطقة تشغل ما يزيد على إحدى عشر درجة عرضية بقليل، ويتغير خلالها المناخ والبيئة، ويمر في نطاق يشمل أربعة من خطوط الطول، وهو بذلك منحصر في مساره بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي[1]. وكان من المعتاد أن تبدأ قواف الحجاج بالانطلاق من مدينة الكوفة في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة، لتصل إلى مكة المكرمة في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة[2].

وذكر الجزيري: "إن الحجاج يخرجون إلى الكوفة جماعات ومثنى وفرادى، وفيها يجتمع رفقتهم وتلتئم فرقتهم"[3].

لتسلك الطريق الذي يربط الكوفة – بمكة المكرمة، إذ تنطلق قوافل الحجاج العراقيين ومن لحق بهم من حجاج بلاد المشرق الإسلامي بعد أن تكون قد أنهت الاستعداد للبدء برحلتها بطريق طويل.

ويمتدّ هذا الطريق حتى مشارف مكة المكرّمة، حيث لا تزال بقاياه من خانات ومنار وآبار وبرك، وتكون المسافة بين أثر وآخر ما بين (14 كم – 18 كم)[4].

ومن مدينة الكوفة يبدأ الطريق، وبعد خمسة عشر ميلاً تصل إلى القادسية[5]، ومن ثم تأتي إلى العذيب[6]، ومنها إلى المغيثة، بعد أن يكون الطريق قد قطع مسافة ثلاثين ميلاً، ثم بعد اثنين وثلاثين ميلاً إلى القرعاء، وبعد مسافة أربعة وعشرين ميلاً تأتي مدينة واقصة[7]، منها إلى منطقة العقبة، بعد أن تقطع مسافة تسعة وعشرين ميلاً، ومن ثم تأتي منطقة القاع، بعد مسافة أربع وعشرين ميلاً [8]، وبعدها بثمانية عشر ميلاً ونصف تأتي منطقة زبالة، وبعدها باثني عشر ميلاً تصل منطقة التنانير، ومنها إلى الحجاز الى منطقة الشقوق بعد مسافة تسعة أميال، وبعدها يأتي بطان، وهي قبر العبادي والمسافة بينهما اثنين وعشرين ميلاً ونصف، ومن ثم الثعلبية بعد مسافة اثنين وعشرين ميلاً ونصف، ومن ثم منطقة الخزيمية بعد ثلاثة وعشرين ميلاً، وبعدها بأربعة وعشرين ميلاً تأتي منطقة الأجفر، ومنها بعد مسافة سبعة وعشرين ميلاً تصل القافلة إلى منطقة فيد. وبعد مسافة أربعة وعشرين ميلاً ونصف تأتي منطقة توز، وبعدها بخمسة عشر ميلاً ونصف تأتي منطقة سميراء، وبعدها بثلاثة وعشرين ميلاً ونصف تأتي منطقة الحاجر. وبعدها إلى منطقة النقرة بعد سبعة وعشرين ميلاً ونصف، ومنها إلى مغيثة الماوان بعد أن قطع مسافة سبعة وعشرين ميلاً، ومن ثم تأتي منطقة الربذة بعد مسافة عشرين ميلاً، ومنها إلى السليلة بعد مسافة ثلاثة وعشرين ميلاً ونصف، ثم منطقة العمق بعد مسافة ثمانية عشر ميلاً، ومن ثم إلى منطقة معدن بني سليم بعد مسافة اثنين وعشرين ميلاً، ومن ثم إلى منطقة أفيعية بعد مسافة ستة وعشرين ميلاً ونصف، ومنها إلى منطقة المسلح بعد ستة وعشرين ميلاً ونصف، ومنها إلى غمرة بعد سبعة عشر ميلاً، ومنها إلى ذات عرق بعد عشرين ميل، ومنها إلى بستان بني عامر بعد واحد وعشرين ميلاً، ومنها إلى مكة المكرمة بعد أربعة وعشرين

1 الملامح الجغرافية. 22.
2 المصدر نفسه، 23.
3 الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 977 هـ). درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، 1964، ص 465.
4 إن بقايا محطات الطريق ضمن حدود العراق حالياً هي: خان الرحبة، بركة زبيدة، منطقة الحمام، منارة أم القرون، بير النص، محطة مغيثة، بركة حمد، بركة الحمام، بركة مسجد، محطة العيد، محطة السجر، محطة أشرف، محطة واقصة، بركة العمية، محطة الظفير. ينظر: عبد الستار العزاوي، طريق الحج القديم ومهمة إحيائه، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، د.ت، ص 1-2.
5 والقادسية على جانب بادية العراق وحدثت بها معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص.ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 563؛ سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية، 36.
6 قرب موضعها ألان توجد عين السيد. وهي جزء من بادية العراق. ينظر: سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية، 36. ينظر ملحق رقم (1)(2).
7 جزء من الأراضي العراقية وعلى مقربة من الحدود مع المملكة العربية السعودية حيث بعدها يلتقي الطريق قرب الحدود بين العراق والسعودية قرب دائرة عرض 22- 30 شمالا وخط طول 39-43شرقا. ينظر: سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية،38. ينظر ملحق رقم (1) (2).
8 ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290 هـ). الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891، ص 175.

ميلاً[1]. وجميع المناطق التي سارت فيها القافلة من الكوفة إلى مكة المكرمة كانت تتوفر فيها المياه، اعتماداً على الآبار في معظمها.

وقدر ابن الفقيه المسافة بمائتين وخمسة وسبعين فرسخا وثلثا الفرسخ، وتكون ثمانية وخمسين بريداً[2]. أما الاصطخري فقدر هذه المسافة بنحو ثلاث مراحل[3]. بينما قدرها الجزيري بستمائة ميل واثنان وأربعون ميلاً وهي مائتان وأربع وعشرون فرسخاً[4]. وذكرت المصادر التاريخية إشارات لبرك الماء في هذا الطريق، ومنها: بين المغيثة والعذيب، بين المغيثة والقرعاء، وبين القاع وزبالة، وبين الشقوق وقبر العبادي، وبين الثعلبية والخزيمية، وبين توز وسميراء، وبين الحاجر والنقرة[5]. كما إن الطريق يضم أماكن أخرى منتشرة بين المحطات الأساسية أطلق عليها اسم المتعشى[6]، فضلا عن محطات البريد[7] التي يبلغ عددها ثمانية وخمسين بريدا[8]، ووضعت الأعلام على الطرق الفرعية منال الطريق[9].

وقد وصف ابن جبير طريق مكة عندما سافر إلى العراق عائداً مع قافلة الحج العراقي في سنة 579هـ[10]، وكذلك ذكر الطريق ابن بطوطة عندما سلكه لزيارة العراق بعد أن أدى فريضة الحج[11].

ومن الجدير بالذكر أن هذا الطريق لم يكن يستخدم فقط للحج، وإنما له استخدامات أخرى، كونه طريق تجاري يربط بلاد الشام والجزيرة العربية بمنطقة الخليج العربي، فضلاً عن إنه طريق عسكري سلكته الجيوش العربية الإسلامية[12].

الخاتمة:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج منها: –

إن هذا الطريق سار فيه الإمام الحسين (عليه السلام) في رحلته فاكتسب صفة القدسية والخلود، وشهد أحداثاً تاريخية مهمة انتهت بموقعة الطف.

ويبدو من البحث أن محطات الطريق الرئيسة بقيت محافظة على أهميتها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الطريق أصابها التغير في بعض أقسامه، وذلك بتأثير أسباب مختلفة منها: الظروف المناخية والسياسية، وهذا واضح من تتبع الطريق في المصادر وفقا للترتيب الزمني.

كما إن المصادر التاريخية أشارت فقط الى الأماكن التي اقترنت بالأحداث أثناء تلك الرحلة، وربما أهملت المناطق الأخرى التي مر بها الإمام الحسين (عليه السلام) مجرد مرور.

أما المصادر الجغرافية فقد كانت واضحة في ذكر محطات الطريق والتفصيل في وصفها، ومنها يمكن أن نتعرف على مراحل الطريق كاملة.

---

1 ينظر: الحربي، أبو إسحاق إبراهيم (ت 285 هـ). المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969، ص 281-283. اعتمدت في ترتيب المناطق والمسافة بين كل منها على الحربي كونه الأقدم، وللمقارنة مع المصادر الأخرى اعتمدت بعض من أهم المصادر ووضعتها في الملحق للمقارنة ينظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 175 ؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ). المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص 126؛ قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت 337 هـ). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، 1981، ص 77-80 ؛ المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 380 هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906، ص 253-254.
ينظر ملحق رقم (2).

2 ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت 289 هـ). مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1883، ص 22.

3 الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت 341 هـ). المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة، 1961، ص 28.
والمرحلة تساوي ثمانية فراسخ، والفرسخ يساوي ستة كيلو مترات، والميل يساوي كيلو مترين. ينظر فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، د.م، د.ت، ص 94-95.

4 الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص 442.

5 ينظر: حول تلك البرك: الحربي، المناسك، ص 281-356.

6 المتعشى هو المكان الذي ينزل به المسافرين والحجج في وقت العشي.ينظر: المصدر نفسه، ص 282، 301.

7 المصدر نفسه، ص290-239.

8 ابن الفقيه، مختصر، ص22.

9 الحربي، المناسك، ص320 ؛ نزار عزيز حبيب، خدمات الحجيج، ص85.

10 ابن جبير، محمد بن أحمد (ت 614 هـ). رحلة ابن جبير، بيروت، 1964، ص 185.

11 ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975، 2/190-191.

12 عبد الستار العزاوي، طريق الحج القديم، ص 2.

إن هذا الطريق يمثل حقبة مهمة من تاريخ العراق وحضارته، بيد أن شواخصه الأثرية الآن تعاني الإهمال والاندثار، لعدة أسباب، أهمها التغيرات المناخية، والعبث والسرقة والتخريب، فضلاً عن عدم اهتمام الجهات المعنية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630 هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

2- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت 341 هـ). المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة، 1961.

3- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975.

4- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت 614 هـ). رحلة ابن جبير، بيروت، 1964.

5- الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 977 هـ). درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، 1964.

6- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم (ت 285 هـ). المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969.

7- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ). المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

8- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290 هـ). الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891.

9- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ). تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

10- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739 هـ). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1954.

11- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت 289 هـ). مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1883.

12- قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت 337 هـ). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، 1981

13- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 380 هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906.

14- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ)، الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك، مصر، 1955.

15- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955.

ثانياً: المراجع

16- سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، 1981.

17- عارف عبد الغني، تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام، دار كنان، دمشق، 1993.

18- عبد الستار العزاوي، طريق الحج القديم ومهمة إحيائه، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، د.ت.

19- فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، د.م، د.ت.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

20- نزار عزيز حبيب محمود، خدمات الحجيج في العصر العباسي 132-334 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة البصرة، 1990.

ملحق رقم (1)

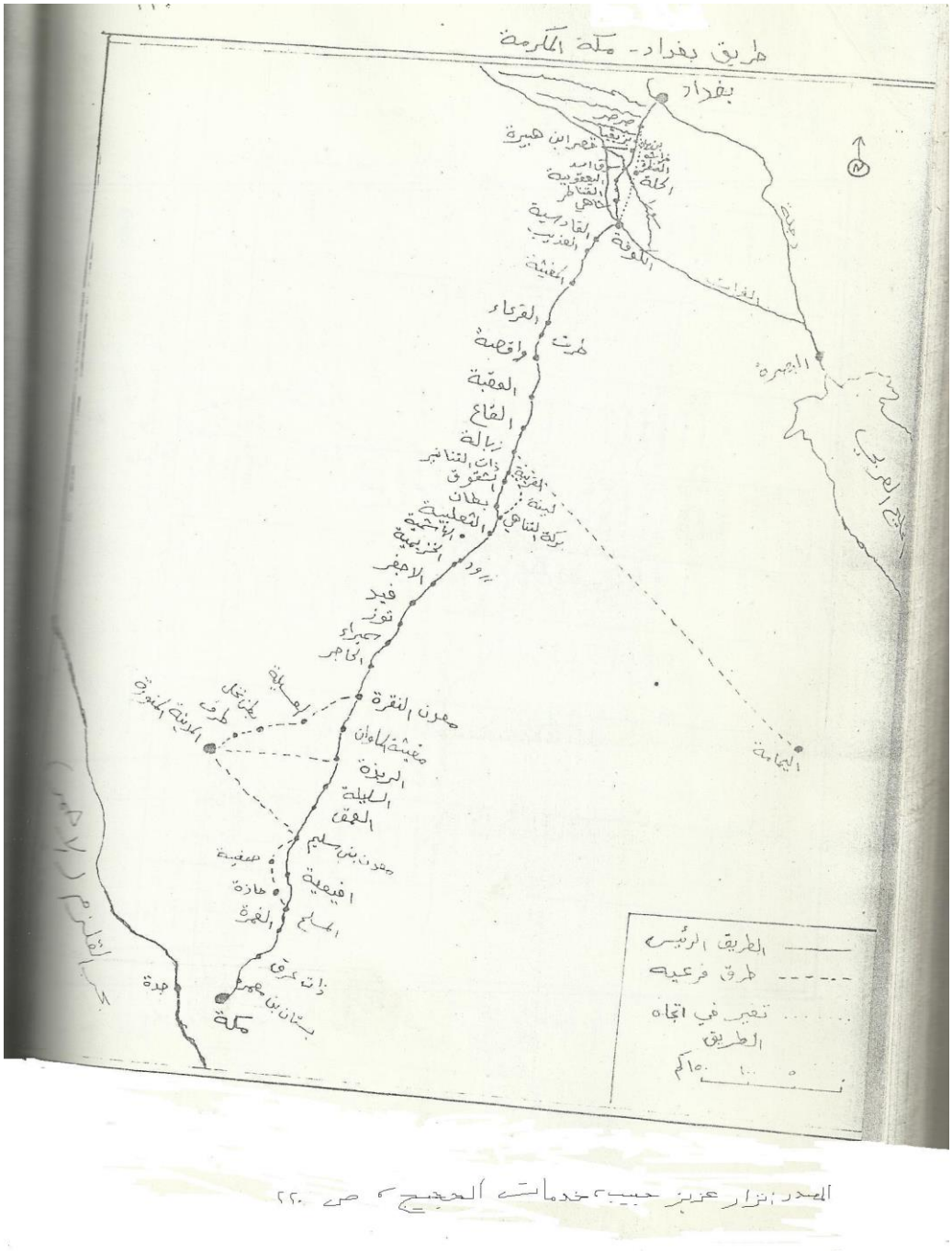

المصدر: نزار عزيز حبيب، خدمات الحجيج، ص ٢٢٠

ملحق رقم (2)

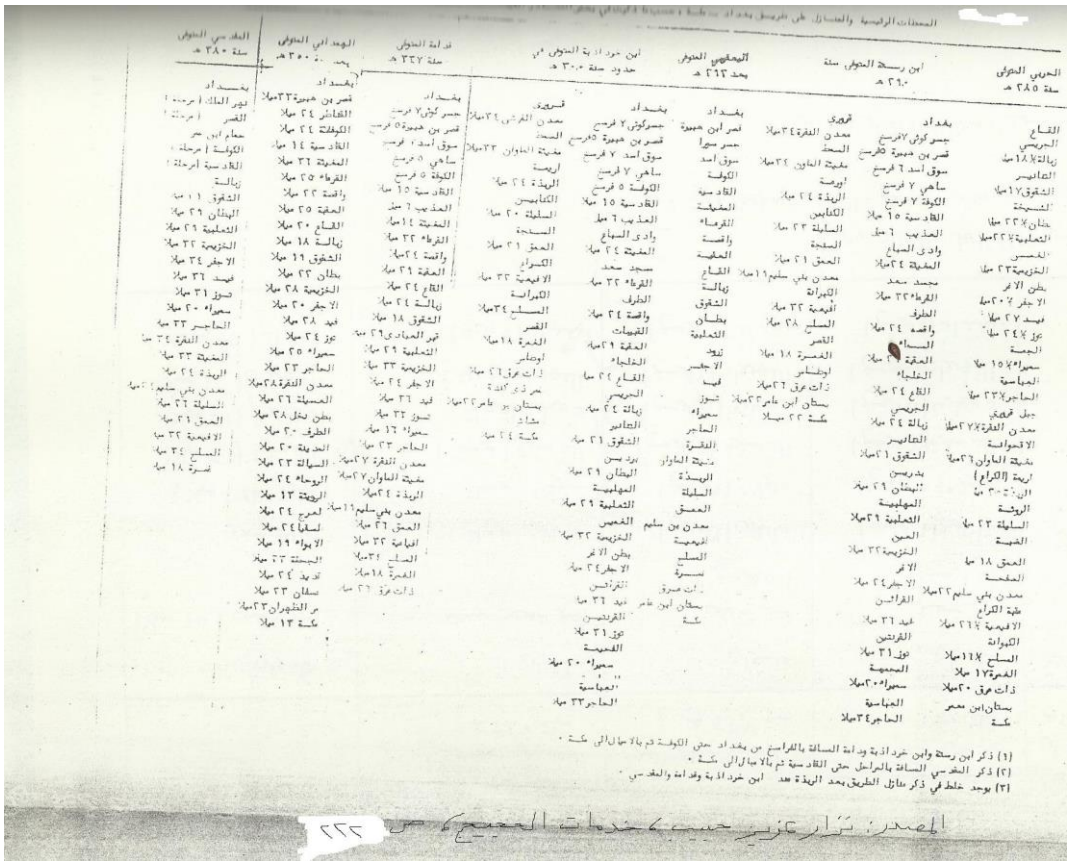

المصدر: نزار عزيز حبيب، خدمات الحجيج، ص ٢٢٢